كتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهري(ت٣٧٠هـ)

(د ر ا سة بـلا غيـة)

م. د. قيس خلف إبراهيم البياتي
جامعـــة تكريـــت / كليـــة التربيـــة للبنـــات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي انزل الكتاب مناراً للعالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .

فمن غير شك أن القرآن الكريم حفظ للعربية هيبتها وفصاحتها وبلاغتها عبر العصور الماضية فهو الرابط بين ماضيها وحاضرها وهو النص الأوثق والأفصح لها . وتعد القراءات القرآنية من اشد العلوم صلة بالقرآن ، ولها من التأثير في الدراسات البلاغية ما جعل جهود العلماء تتضافر في البحث عن تلك القراءات وتدوينها ودراستها وتعليلها والاحتجاج بها ، مما يسهم في إثراء الدراسات اللغوية والبلاغية ، إذ تعد القراءات المعين الذي لا ينضب ، والينبوع الذي ترتوي منه هذه الأمة ؛ لفهم كتاب الله العزيز وتجلية معانيه . ولا تزال هذه القراءات مكاناً رحباً وحقلاً خصباً لكل الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية ، فكان من هذا المعين أن أُلّفت كتب في القراءات القرآنية ظهرت فيها إشارات بلاغية موجزة في لفظها واضحة في مدلولها ، وعليه كان جل اهتمامي منصباً على ذلك التراث من كتب القراءات

فوقع اختياري على دراسة ((كتاب معاني القراءات للأزهري دراسة بلاغية)) والكتاب جدير بالاعتناء لما يضم في طياته من فنون بلاغية .

وكانت طبيعة المادة تقتضي تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة ، فخصصت المبحث الأول لدراسة (مباحث علم المعاني في كتاب معاني القراءات)، وتضمن الخبر والإنشاء ، والفصل والوصل والإيجاز والإطناب . وتناولت في المبحث الثاني (دراسة مباحث علم البيان في كتاب معاني القراءات) وتضمن دراسة المجاز المرسل والاستعارة والكناية . أما المبحث الثالث فقد درست فيه (مباحث علم البديع في كتاب معاني القراءات) وتضمن الالتفات ، وسوق المعلوم مساق غير المعلوم (تجاهل العارف) والفاصلة القرآنية ، ثم أوجزت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها .

هذا وأرجو أن أكون قد أبرزت شخصية الأزهري البلاغية من خلال كتابه معاني القراءات .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد- ﷺ- وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الباحث

إضاءة :

أبو منصور الأزهري ، هو محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر ، وُلِد في مدينة (هراة) سنة اثنتين وثمانين ومئتين للهجرة [١]، وفيها تعلَّم أوَّل علومه على يد شيوخه الهرويين ، فأخذ عنهم علوم الحديث والفقه والتفسير واللغة ، وكان الأزهري شديد العناية بعلوم العربية والحديث والتفسير [٢] ، فجمع فنون الأدب وحشرها ورفع راية العربية ونشرها ، أدرك الزجَّاج ونفطويه وابن دريد وطبقتهم ، وفي إحدى المعارك أسَّرتْهُ العرب وبقي بينهم مدةً فحفظ من لغاتهم وأشعارهم وأيامهم وأملى وحدّث وصنّف في اللغة والتفسير وعلل القراءات والنحو كتباً نفيسة وهو حجة فيما يقوله وينقله ، وكتابه (التهذيب) برهان على كونه أكمل أديب توفي سنة سبعين وثلاث مئة وعمره ثمانية وثمانون سنة (٣) .

يُعد كتابه معاني القراءات أحد مصادر كتب القراءات القرآنية ، وفيه اعتمد الأزهري على جمهور القراء كثيراً ، ونقل في توجيهاته عن نحاة ولغويين ، أمثال أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) ، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) ، وسيبويه (ت ١٨٠هـ) ، والفرّاء (ت ٢٠٧هـ) ، والمُبرِّد (ت ٢٨٥هـ) ، والزجَّاج (ت ٣١١هـ) ، وآخرين ، وكان ينسب القراءات القرآنية إلى أصحابها من القراء ، إذ جعل لنفسه ثمانية قراء[٤] ، اتخذهم أساساً للقراءات التي عنى بها ، واعتنى بالكشف عن معانيها ، فيذكر لكل منهم قراءته ، ويقف عند القراءات التي يوردها ، ليفسر ألفاظها تفسيرا لغوياً ، فيذكر معانيها ، وأصولها ، ومشتقاتها ، وجموعها ، وهذا التفسير حمله إلى أن يشير إلى كثير من المباحث البلاغية وقد أفاد في هذا المجال من العلماء السابقين له فحُضي كتابه بملامح بلاغية كانت تعد ثمرة جهده البلاغي ، فعزمت على دراستها في هذا البحث .

ومجمل القول في ملاحظات الأزهري البلاغية انّه تناول في كتابه معاني القراءات بعضاً من الأساليب البيانية والتراكيب والمحسنات البديعية فكان مقتدراً على إدراك الأسرار البلاغية ، لكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية ، وإنّما جاءت الدلالة عليها عن طريق الأمثلة التي تناولها لا عن طريق القواعد البلاغية ، وعلى الرغم من أنَّ كتابه (معاني القراءات) كتاب متخصص في القراءات فإنَّ الأزهري تعرض فيه عند شرح الآيات القرآنية لمسائل بلاغية سنقف عندها في هذا البحث – إن شاء الله تعالى– .

المبحث الأول

علم المعاني في كتاب معاني القراءات

يبحث علم المعاني في تراكيب الكلام وأساليبه ، وفي اختيار الأسلوب الذي يناسب المقام ، ويعطي صورة مطابقة لما في النفس ، فلا بد فيه من مراعاة أمرين : الأول : المعنى الذي نريد التحدث عنه ، والآخر اللفظ الذي نعبّر به عن هذا المعنى ، فإذا اختلف المعنى الذي نريد التعبير عنه فلا بد أن يختلف اللفظ ، وهذا ما جعل علماء البلاغة يعرفونه بقولهم : ((علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال))[٥] ، ومنه الخبر والإنشاء ، والذكر والحذف ، والتعريف والتنكير ، والإظهار والإضمار، وغير ذلك ، فكل أسلوب من هذه الأساليب له غرض بلاغي يصل إليه يتوافق مع حال المخاطَب والمعنى الذي يريد المتكلم التعبير عنه ، فمقام الحذف مثلاً يختلف عن مقام الذكر، ومقام الإطناب يختلف عن مقام الإيجاز وهكذا ، وسنتناول على ما وقف عليه الأزهري من موضوعات هذا المبحث ومنها :

المطلب الأول
الخبر والإنشاء

أوَّلاً – الخبر:

عرَّف القزويني الخبر في الاصطلاح فقال: ((اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور إلى أنَّه منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه وهذا هو المشهور وعليه التأويل))[٦] ومَنْ يتصفح كتاب معاني القراءات يجد أن الأزهري ذكر عدة مواضع على خروج الخبر إلى معانٍ مجازية منها :

١- خروج الخبر الى معنى التهديد :

استدل أبو منصور الأزهري على إيحاء التهديد في قوله تعالى : ﴿هذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾{الحجر:٤١} فقال : ((مَنْ قَرَأَ (صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) أراد : هذا طريق رفيع شريف في الدين والحق ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿هذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ ﴾ فالمعنى : هذا صِرَاط مستقيم عليَّ ، أي : على إرادتي وأمْرِي ، وقيل : هو كقولك : طريقك عَلَيَّ)) (٧) .

فليس الغرض من الخبر إفادة ظاهر معناه فحسب ، وإنَّما له صورة أخرى لا ترتبط بالحقائق بل تتشكل فيها عناصر الوعي بالموقف إذ لم يصرح الأزهري بالتهديد ، وإنما فُهم من سياق العبارة (هو كقولك : طريقك عَلَيَّ)) ، فهذا القول فيه تهديد ، قال السمعاني : ((أكثر أهل المعاني على أن الآية للتهديد والوعيد كالرجل يقول لغيره : طريقك عليَّ ومسيرك إليَّ أي : لا تفلت مني وهذا في معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ {الفجر:١٤})) (٨) .

لقد جاءت الآية الكريمة معبّرة عن معنىً مجازي بأسلوب خبري تجلّى مبالغةً في إيقاظ انتباه السامع وثبوت حكم الله – سبحانه وتعالى – فهي دالة على التهديد الخفي (غير المباشر) ، وفيها تعظيم لشأنه –عز وجل– ، ومجيء الخبر بالجملة الاسمية مبالغةً في التعظيم والقدرة ، إذ ذكر الله – تعالى– أن إبليس أخبر أنه سيبذل جهده في إضلال بني آدم ، ظنّاً منه أنه يتمكن من إضلال أكثرهم ، فتوعدهم الله – عز وجل – وهدَّد الضَّالين منه بأنَّ طريقهم إليه وسينالُ كلٌ جزاؤه(٩).

٢- خروج الخبر الى معنى التهكّم والاستهزاء :

وهو أحد الأغراض البلاغية التي أشار إليها أبو منصور الأزهري وقد استدلَّ عليه من خلال القراءات القرآنية ففي قراءة قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا

مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ﴾{مريم : ٦٦} قال الأزهري : ((قرأ ابن عامر[١٠] وحده : (إذا ما مِتُ) بكسر الألف لا استفهام فيه كأنه خبر ، معناه التهكُّم والاستهزاء))[١١] .

لقد تفرد ابن عامر في هذه القراءة فعَدَلَ من الإنشاء إلى الخبر ، إذ حذف همزة الاستفهام من قوله : (أإذا ما مِتُ) فجعل الآية خبراً خرج الى معنى التهكُّم والاستهزاء إذ ليس الغرض من هذا الخبر إحاطة الآخرين علماً بظاهره وانَّما الغرض التهكم والاستهزاء ، فيما ((قرأ الباقون بالاستفهام))[١٢] على معنى النفي والإنكار أي : نفي بعث الناس يوم تقوم الساعة وإنكاره .

٤- خروج الخبر إلى معنى النهي :

لقد أسهم أبو منصور الأزهري في تشكيل هذا الغرض البلاغي عندما تناول (الخبر) في قوله تعالى : ﴿ لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾{البقرة :٢٣٣} فقال : ((من قرأ ﴿ لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ بفتح الراء ، والموضع موضع جزم على النهي ولفظه لفظ الخبر ، الأصل (لاتضارَرْ) فأُدغِمت الأولى في الثانية وانفتحت لالتقاء الساكنين ، وهو الاختيار في المضاعف)) [١٣] .

وقد بحث علماء العربية الأوائل هذه الآية فقال الزجّاج (ت٣١١هـ) : ((قُرِئتْ على ضربين (لا تضارُّ والدة) برفع الراء على المعنى: لا تُكَلَّفُ نفس على الخبر الذي فيه معنى الأمر، ومن قرأ: ﴿ لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ ﴾ بفتح الراء فالموضع موضع جزم على النهي والأصل (لا تضارر فأُدغِمت الراء الأولى في الثانية ، وفُتِحت الثانية لالتقاء الساكنين)) [١٤] .

فالآية الكريمة لفظها لفظ الخبر ومعناها النهي ، والسياق التعبيري أبلغ وأدق في موافقة ما يقتضيه المقام من النصح والإرشاد في نهي الضرر بالولد ، ومعلوم أن الضرر منهي عنه فلا يحسن التعبير عنه بصيغ الأمر أو الوجوب ، وإنما كان

التعبير بصورة غير مباشرة مراعاةً للجانب النفسي للمرأة وإكراماً لمشاعر الأم وأحاسيسها وعاطفتها تجاه ولدها ، وهو المسوغ لهذا الأسلوب .

٥- خروج الخبر إلى معنى التوبيخ :

أفاد الأزهري من قراءة القُرّاء في إنتاج خطاب بلاغي يرتقي إلى مصاف الفنون البلاغية ، ففي قوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ {الأعراف:١٢٣} ، قال الأزهري : ((مَنْ قَرأَ ﴿آمَنْتُمْ ﴾ بوزن (فاعلتم) فلفظه لفظ الخبر ، ومعناه للاستفهام ، إلا أنه حذف إحدى الهمزتين)) (١٥) .

والمعنى أنَّ قراءة (آمنتم) بهمزةٍ واحدةٍ تحتمل الخبرَ المَحْضَ المتضمنَ للتوبيخ ، وتحتمل الاستفهامَ المُشارَ إليه ، قال عبد العظيم المطعني : ((إن العبارة إذا حُمِلت على الخبر الذي لا استفهام فيه(آمنتم) فالخبر مستعمل في التوبيخ ، وإذا قُدِّرت همزة الاستفهام (أامنتم) فالاستفهام مجازي محمول على الإنكار والتوبيخ ، والأظهر أنه استفهام وليس خبراً)) (١٦) .

وهذا خطاب بلاغي يعكس توجّه الأزهري في إدراك الأسلوب البلاغي ، إذ كان يتحسس النص القرآني تحسساً جعله يكشف عن جوانب من جوانب التركيب البلاغي المتجدد عن القراءات ، وأراد أن يكشف عن تجليات النص القرآني والعدول فيه من معنى إلى آخر .

ثانياً. الإنشاء :

الإنشاء في الاصطلاح هو : الكلام الذي لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه . (١٧) وهو على قسمين : الأول الإنشاء الطلبي ، وله أساليب هي : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء ، وهذه الأساليب تناولها البلاغيون ؛ لأنها تتباين في

التعبير وتخرج عن أغراضها الحقيقية فتؤدي معاني أخرى جديدة ، والآخر الإنشاء غير الطلبي . وسنقف على ما تناوله الأزهري من الإنشاء الطلبي :

الأسلوب الطلبي :

أ- الأمر :

وهو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام بحيث يكون من الأعلى إلى الأسفل (١٨). وقد تخرج صيغة الأمر عن معناها الحقيقي إلى معان وإغراض بلاغية تُفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال ، وسنتناول – إن شاء الله – ما وقف عليه الأزهري .

١- خروج الأمر إلى معنى التهكُّم :

يتحقق هذا الغرض في صيغة الأمر التي وردت في القرآن الكريم ، ثم ساقها أبو منصور الأزهري في كتابه عند قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ {الدخان:٤٩} فقال : ((قرأ الكسائي وحده (ذُقْ أَنَّكَ أَنْتَ) بفتح الألف ، وقرأ سائر القرّاء (ذُقْ إِنَّكَ) بكسر الألف ، ومن نَصبَ (أَنَّكَ) فمعناه : ذُقْ يا أبا جَهْلٍ العذاب ؛ لأنك أنت العزيز الكريم ، بِقيلِكَ في الدُّنْيا ، وكان يقول : أنا أعَزُّ أهْل الوادي وأمْنَعُهم ، فقال له الله حين أُلقي في النار: ذُقْ لأنك كنت تَزْعُم أنك أنت العزيز الكريم بِقِيلِكَ ، يقوله على جهة التهكُّم)) (١٩) .

فالأسلوب أمر والمعنى المراد هو التهكُّم والاستهزاء ، وإيثار صيغة الأمر﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ على غيرها من الصيغ الأخرى تذليل له واستهزاء به ، فالأمر في (ذق) لم يكتف بالاستهزاء ، وإنّما وصل إلى مرتبة التقريع والإهانة لذلك الكافر الذي لم يرتدع ولم يؤمن بأنه سيبعث في الآخرة)) (٢٠) إذ لا يراد بالتعبير القرآني ههنا معناه الذي يدلُّ عليه ، وإنَّما يراد به معنى آخر يرتبط به ، لذا عمد النظم القرآني إلى تكذيب مقولة ذلك المعاند بأسلوب ابلغ وأدق .

١- خروج الأمر إلى معنى الوعيد :

تتبع أبو منصور الأزهري أسلوب الأمر في القرآن الكريم ؛ ليزيد من إيضاحه وبيانه ، فرآه قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الوعيد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ {العنكبوت :٦٦} فقال : ((هذه اللام هي لام الوعيد ، بلفظ الأمر ، والأجود فيها الإسكان إذا اتصلت بالواو ، وقد تُكْسَر على الأصل فيكون فيها الكسر على جهة(كي يَتَمَتَّعُوا)) (٢١) .

فقوله : ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ بكسر اللام على أنها لام التعليل وبسكونها فهي لام الأمر، وعليه فالأمر مُستعمَل في التهديد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ {فصلت :٤٠} (٢٢) .

لقد استعمل الأزهري هذه الآية الكريمة ضمن غرض الوعيد ، فيما عدَّها آخرون أنها أمر خرج الى معنى التهديد(٢٣) ، والسبب في ذلك أن هذه الأغراض متقاربة المعاني ، وعلى أقل تقدير أن الأزهري يدرك أن الأمر ههنا خرج مجازاً . وجاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم ليحقق به تركيباً بلاغياً ، واستطاع الأزهري أن يستثمر هذا ويدلي بدلوه في سبيل الكشف عن قدراته البلاغية في قراءة النص القرآني ، وقد وُفِّقَ في الوقوف عند جمالية هذا الأسلوب .

ب- النهي :

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ(لا) الناهية الجازمة(٢٤) ، وقد تخرج إلى معان وأغراضٍ مجازية ، وسنقف على ما تناوله الأزهري من هذه الأغراض .

٢- خروج النهي إلى معنى التفخيم :

تناول أبو منصور الأزهري قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾{البقرة :١١٩} فقال : ((من قرأ : (ولا تَسألْ) – بالجزم–

جزمه بـ(لا) النهي ، وله معنيان : أحدهما : ان الله أمره بترك المسألة عنهم ، والآخر : أن في النهي تفخيماً مما أعدَّ الله لهم من العقاب ، كما يقول لك القائل الذي يعلم أنك تحب أن يكون من تسأله عنه في حال جميلة أو قبيحة فيقول : لا تَسألْ عن فلان ، أي قد صار الى أكثر مما تريد ، والله اعلم بما أراد)) (٢٥) .

المعنى: قُرِأَتْ : (لاتَسألْ) بفتح التاء وسكون اللام على أنَّ (لا) حرف نهي جازم للمضارع ، والسؤال هنا مستعمل في الاهتمام والتطلع إلى معرفة الحال ؛ لأن المعني بالشيء المتطلع لمعرفة أحواله يكثر من السؤال عنه ، وذلك أن النهي عن السؤال يرد لمعنى تعظيم أمر المسؤول ، وقُرأت بضم التاء ورفع اللام (تُسألُ) على أن (لا) نافية أي : لا يسألك الله عن أصحاب الجحيم وهو تقرير أي لست مؤاخذاً ببقاء الكافرين على كفرهم بعد أن بلغت لهم الدعوة ، وهذه دعوة الى تبرئة الرسول محمد-ﷺ- مما يلحق بالمعاندين والمشركين أصحاب الجحيم (٢٦) . ويبدو لي أن الأزهري ذهبا مذهباً بعيداً ، حينما حَمَلَ النهي الى معنى التفخيم ، تفخيم ما أعدَّه الله لهم من العقاب . والأظهر أن النهي ههنا خرج إلى معنى التبرئة ، أي تبرئة الرسول محمد-ﷺ- مما سيلحق المعاندين المشركين من العذاب يوم القيامة .

ج- الاستفهام :

الاستفهام : هو طلب حصول في الذهن ، والمطلوب حصوله في الذهن إمّا أن يكون حكماً بشيءٍ أو لا يكون ، والأول : هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين والثاني هو التصوير ولا يمتنع انفكاكه من التصديق(٢٧). وينصبُّ اعتناء الدراسات البلاغية على الصيغ الاستفهامية المجازية ، لا الصيغ الاستفهامية المحضة ؛ لأنَّها تحوي معاني بلاغية يفيدها هذا الأسلوب ، وقد أشار أبو منصور الأزهري إلى أغراض الاستفهام البلاغية وهي :

١- خروج الاستفهام إلى معنى الإنكار :

يأتي الاستفهام ويُراد به معانٍ أخرى ، منها الإنكار وممّا يرتبط بهذا الغرض قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ {البقرة : ٧٣} قال أبو منصور الأزهري : ((القراءة بغير المد ، ومَنْ قرأ بالمد فهو استفهام معناه الإنكار ، وذلك أنَّ أحبار اليهود قالوا لذويهم : أيؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ؟ أي: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم)) (٢٨) .

وهذا التوجيه أكَّده القرطبي (ت٦٧١هـ) بقوله : ((وقيل : المعنى : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أنْ يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ؛ فالمد على الاستفهام أيضاً تأكيد للإنكار الذي قالوه أنَّه لا يُؤتى أحدٌ مثل ما أتوه ؛ لأنَّ علماء اليهود قالت لهم : لا تؤمنوا إلا لِمَن تبع دينكم أنْ يُؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ؛ أي : لا يُؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ؛ فالكلام على نسقه)) (٢٩) .

فالتعبير جاء بصيغة الاستفهام والمعنى الإنكار ؛ وذلك لأنَّ الله – سبحانه وتعالى– لا يستفهم خلقه عن شيءٍ ، وإنَّما يستفهمهم لتأكيد ما أنكروه ، وليذكِّرهم أنَّهم قد أنكروا عليه ذلك الشيء ، فهذا أسلوب بديع في الخطاب القرآني ، وإيثار صيغة الاستفهام دون الخبر ؛ وفقاً لما يقتضيه المقام وما فيه من تحريك المشاعر، وإثارة الذهن نحو المستفهم عنه .

وبمثل هذا الفهم تناول أبو منصور الأزهري أسلوب الاستفهام بشكلٍ جلي وواضحٍ ، إذ أدرك أن الاستفهام جاء بمعنى الإنكار أيضاً ، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾{الزخرف : ١٩} قال : ((قرأ نافع وحده مَنْ قَرَأَ (آوُ اشْهِدُوا خلقهم) بهمزة ممدودة ، بعدها ضمة . وقرأ الباقون ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ بغير مدَّةٍ فقال ابن منصور : من قرأ (آوُ اشْهِدُوا) فمعناهُ أَأُحْضِرُوا خَلْقَ الملائكة حين خلقهن الله ،

فَعَلِمُوا أَنَّهم ذكور أو إناث ؟ وهذا استفهام معناه النفي ، أي : لم يَحْضرُوا خلقهم وفيه تقريع لهم ، وَمَنْ قَرَأَ (أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) : احضَروا خلقهم)) (٣٠) .

فالآية الكريمة تتضمَّن استفهاماً أخرجه المفسرون في لفظة(أشهدوا) على معنى الإنكار، ويبدو أن هذا الاستفهام سلك مسلك استفهام النفي ؛ لأنَّهم أنكروا حضورهم لحظةَ خَلق الملائكة أي : أَحضروا خلقهم ، فشاهدوا الله حين خلقهم إناثاً حتى يحكموا بأنوثتهم ؟ فإنّ ذلك لا يُعلم إلا بالمشاهدة ، وهو تهكُّم بهم(٣١) ، وأخرجه عبد العظيم المطعني على معنى الإنكار والتكذيب (٣٢) وهو الأظهر .

٢- خروج الاستفهام إلى معنى التقريع :

تناول أبو منصور الأزهري هذا الغرض البلاغي وهو يفسر قوله تعالى : ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾{الأحقاف :٢٠} فقال : ((قرأ ابن كثير(٣٣) وابن عامر : (آذْهَبْتُمْ) بهمزة مُطَوَّلة على الاستفهام ، وقرأ الباقون : (أَذْهَبْتُمْ) بألف مقصورة ، قال أبو منصور : مَنْ قَرَأَ (أَذْهَبْتُمْ) بوزن (أَفْعَلتمْ) فهو تحقيق ومَنْ قرأَ (آذهبْتُمْ) فهو استفهام معناه التقريعُ)) (٣٤) .

يأتي التقريع باستفهام وبغير استفهام وقُرأت الآية الكريمة ههنا بهمزتين مخففتين (أأذهبتم) وبهمزةٍ واحدةٍ مُطَوَّلة على الاستفهام (آذهبتم) والباقون بهمزةٍ واحدةٍ من غير مد على الخبر ، وكلها لغات فصيحة ومعناها التقريع ، والعرب تُقرع بالاستفهام وبغيره ، وقد تقدّم ، وتَرْك الاستفهام أحسن ، لأنَّ إثباته يُوهم أنَّهم لم يفعلوا ذلك (٣٥) .

٣- خروج الاستفهام إلى معنى التقرير والنفي :

يستمر الأزهري في تَتَبُّع المظهر البلاغي مُبَيِّناً أغراضه المتعددة ، فيأتي الاستفهام ويُراد به التقرير ، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾{الأنبياء :٤٢} قال أبو منصور الأزهري : ((والمعنى : قُلْ مَنْ يحفظكم من أمر الرحمن ومن بأسه ،

ومعنى الاستفهام ههنا تقرير ، ويكون نفيًا ، أي : لاَ يَكْلَؤكُم(٣٦) مِنْ بأسه شيءٌ))(٣٧) .

المعنى أنَّ الاستفهام ههنا للإنكار والتقرير ، فجهة كونه إنكارياً أنَّ المعنى : لا كالئ لكم يحفظكم من العذاب ، إلاَّ الله – تعالى – ، أي : فكيف تعبدون غيره ؟ قال عبد العظيم المطعني : ((وكلام الأئمة في بيان المُراد من هذا الاستفهام الإلهي هو النفي أو الإنكار المُتَضَمِّن لمعنى النفي ، أي :لا أحد يملك لكم نفعاً ولا ضراً ، ولا يردُّ عنك بأساً إذا أراد الله إنزاله بكم)) (٣٨) ، وجهة كونه تقريريّاً أنَّهم إذا قيل لهم : مَن يكلؤكم ؟ اضطروا إلى أنْ يقرُّوا بأنَّ الذي يكلؤهم هو الله؛ لأنَّهم يعلمون أنَّه لا نافع ولا ضار إلا هو تعالى ، ولذلك يخلصون له الدعاء عند الشدائد والكروب ، ولا يدعون معه غيره(٣٩) ، فيما جعله أبو السعود (ت٩٨٢هـ) على معنى التقريع والتبكيت (٤٠) ، وحمل ابن عاشور الآية على معنى الإنكار والتقريع(٤١) .

المطلب الثاني
الإيجاز والإطناب

الإيجاز هو البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ (٤٢) ويقع في ضربين : الأول الإيجاز بالقصر – ولم يقف الأزهري عليه – والأخر الإيجاز بالحذف :

أولاً– الإيجاز:

أ– الإيجاز بالحذف :

هو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام (٤٣).
وقد تناول الأزهري أمثلة نذكر منها ما ورد في قوله تعالى : ﴿فما اسْطَاعوا أنْ يظْهرُوه﴾ {الكهف : ٩٧} فقال : (((فَما اسْطَاعُوا)بغير تاء ، أصلها : استطاعوا

بالتاء ، ولكن التاء والطاء من مخرجٍ واحدٍ ، فحُذِفَت التاء لاجتماعهما ، وليَخِفَّ اللفظ)) (٤٤) .

وتناول الاخفش (ت٢١٥هـ) الآية الكريمة فقال : ((لأنَّ لغة للعرب تقول : اسطاعوا يسطيع يريدون به استطاع يستطيع ، ولكن حذفوا إذا جامعت التاء الطاء ؛ لأنَّ مخرجها واحد)) (٤٥) .

فهذا النوع من الحذف للتقليل من الفعل ، فـ(استطاعوا) تحتاج إلى جهدٍ لنقب السدّ أما (اسطاعوا) فهي للصعود على ظهره ، وأنَّ إحداثَ نقبٍ في السد المصنوع من الحديد والنحاس أشدّ من الصعود على ظهره ، ويستغرق وقتاً أطول ، فحذف من الفعل الذي مدَّته ، أقل وذكر في الحدث الممتد(٤٦) ، وقيل : هي لغة بمعنى استطاعوا ، وقيل : بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا : اسطاعوا (٤٧) .

وفي موضع آخر نقل أبو منصور الأزهري حديث الفرّاء(ت٢٠٧هـ) في حذف التنوين من (عزيرُ) في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ {التوبة :٣٠} فقال : ((قال الفرّاء : الوجه التنوين ؛ لأنَّ الكلام ناقص ... وذلك أنَّ الحذف في النون ، إنَّما كان في الموضع الذي يُجرى في الكلام كثيرًا فيستخفّ طرحها في الموضع المستعمل)) (٤٨) .

والى هذا التقدير ذهب الأخفش قائلا : ((وقد طرح بعضهم التنوين وذلك رديء ؛ لأنَّه إنَّما يُترَك التنوين إذا كان الاسم يستغني عن الابن ، وكان ينسب إلى اسم معروف فالاسم ههنا لا يُستغنى ، ولو قلت :(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ) لم يتمّ كلاماً إلا انَّه قد قرئ وكثر ، وبه نقرأ على الحكاية ، كأنهم أرادوا : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ نَبِيُّنا عُزَيْرُ ابنُ اللهِ)) (٤٩) .

ثانياً . الإطناب :

الإطناب في الاصطلاح فهو : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة(٥٠) وهو على أنواع فمنها : الإيضاح بعد الإبهام ، وعطف الخاص على العام ، والتكرار ، والزيادة، والإيغال ، والتتميم ، وإظهار المضمر ، وغيرها ، ولم يقف الأزهري إلا على نوعين هما : التكرار والاعتراض .

أ- التكرار:

هو إعادة الكلام لغرض ما ، وهو على نوعين محمود ومذموم ، فالمحمود : هو الذي يأتي في الموضع الذي تدعو الحاجة إليه ، والمذموم هو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد منه زيادة معنى وليس شيء في القرآن من هذا النوع(٥١) . وقد التفتَ الأزهري إلى هذا النوع البلاغي ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾{الأنعام:٥٤} فقال : ((يجوز أن تكون (أنَّ) الثانية وقعت مؤكدة للأولى ؛ لأنَّ المعنى : كتب ربكم أنَّه غفور رحيم ، فلما طال الكلام أُعيد ذكر (أنَّ))) (٥٢).

فالأزهري يلحظ أنَّ في النص القرآني لفظين متشابهين يجمعهما معنىً واحد ، مُبيِّناً أنّ العلة فيه تأكيد الكلام وتوضيحه فلما طال الكلام أُعيد ذكر (أن) ، قال النحاس : (ت٣٣٨هـ) : ((فالأُوْلَى بدل من الرحمة ، والثانية مؤكدة مكررة لطول الكلام))(٥٣) .

ب - الاعتراض :

وهو أن يؤتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة))(٥٤) وقد ورد هذا النوع في القرآن الكريم فتَمكَّنَ الأزهري من الإفادة من النص القرآني الذي ساعد على إنتاج خطاب بلاغي ، وذلك في قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ

إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّـهِ الْإِسْلَامُ﴾ {آل عمران :١٨-١٩} قال الأزهري : ((حُكيَ عن الفرّاء قال فيها : (قرأ ابن عباس بكسر الأوَّل وفتح أنَّ الدين عند الإسلام ، وهاتان حجة للكسائي في الفتح لموافقة ابن مسعود وابن عباس فقد كُسِر الأول ؛ لأنّ الباء حسن فيها (شهد الله بأنَّه لا اله إلا هو...أن الدين) جعلها مستأنفة معترضة ؛ لأنَّها تعظيم لله ، كما تقول : (أعتقك الله وأعتقتك) فتبدأ بالله تعظيماً)) (٥٥) .

المعنى : قُرأَت (إنَّه) بكسرِ الهمزة على أنَّها جملةُ اعتراضٍ بين العامل – شهد– وبين معمولهِ وهو قولُه : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّـهِ الإِسْلاَمُ﴾ قال ابن عطية : (((إنَّه لا إله إلا هو) اعتراضاً جميلاً في نفس الكلام المتصل))(٥٦) وجازَ ذلك لِما في هذه الجملةِ من التأكيدِ وتقويةِ المعنى .

المطلب الثالث
الفصل والوصل

عرَّف البلاغيون الفصل والوصل فقالوا : ((الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصلُ تركهُ)) (٥٧) وقد اقترن الفصل بالوصل ، فهما ظاهرتان متضادتان واعتنى علماء العربية والبلاغة بهما ، لإبراز السر البلاغي الذي يكمن في وجوب الفصل أو الوصل .

١- شبه كمال الاتصال (الاستئناف البياني) :

ويسمى (الاستئناف البياني) ومعنى الاستئناف فيه انه استئناف جواب ، وليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه(٥٨) ، أو هو ما وقع جوابا لسؤال مقدر(٥٩) . وقد تعرَّض الأزهري لهذا الأسلوب البلاغي وعلَّق عليه موضِّحاً موضع الاستئناف فيه ، ففي قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾{النمل :٥١} نقل الأزهري كلام الفرَّاء قائلا : ((قال الفرّاء : مَنْ قَرَأَ (إِنَّا

دَمَّرْنَاهُمْ) بالكسر فعلى الاستئناف ، وهو يُفسِّر ما قبله ، كقوله : ﴿فَلْيَنظر الإنسانُ إلى طَعَامِه ، إنَّا صَبَبْنَا الماء﴾ يستأنف وهو يُفسِّر ما قبله)) (٦٠) .

وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) بقوله : ((قرأ الجمهور : إنّا دمرناهم ، بكسر الهمزة فتكون الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لما يثيره الاستفهام في قوله : ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ من سؤال عن هذه الكيفية ، والتأكيد للاهتمام بالخبر)) (٦١) .

المعنى أن الجملة الثانية في قوله تعالى : ﴿إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ فُصلت عن الجملة الأولى في قوله تعالى : ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ لوقوعِها في جواب سؤال مقدَّر ، فكأنه قيل لهم : ما عاقبة أمرهم فقال : ﴿إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ ﴾على قراءة (إنا) بالكسر .

وفي موضع آخر تناول الأزهري قوله تعالى : ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ {الفرقان : ٦٩} فقال : ((مَنْ قَرَأَ (يضاعفُ. . . ويَخْلُدُ) رفعاً ، فعلى أنَّهما تفسير لقوله : ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ ، كأن قائلاً قال : ما يُلَقَّ أثامَاً ؟ فقيل : يُضَاعفُ للإثم العذابُ)) (٦٢) .

فالجملة الثانية في قوله تعالى : ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ جاءت بياناً للجملة الأولى في قوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ وعلة ذلك ، أنَّ الجملة الأولى خفية تحتاج إلى تفسير فاقتضى بيانها وإزالة الخفاء عنها ، وهو موضع فصل ، إذ فصلت جملة : ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ عمّا قبلها لكونِها تفسيراً لها ، قال المُبرِّد (ت ٢٨٥هـ) : ((الآثام : الهلاك ، قال الله عز ذكره : (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً) ثم فسَّر فقال: (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً) فجزم (يضاعف) لأنه بدل من قوله: (يلقَ أثاماً) إذا كان إياه في المعنى)) (٦٣) .

المبحث الثاني

علم البيان في كتاب معاني القراءات

تناول الأزهري علم البيان متنقِّلاً بين فنون القول فيه ، ولم تكن هذه الفنون أقلَّ شأناً عنده من تلك التي تناولها في علم المعاني ، فقد أشار إلى بعض علاقات المجاز المرسل والاستعارة والكناية ، إذ تتجلى في حديثة روعة الأسلوب القرآني وسنقف على ما تناوله من هذا المبحث :

المطلب الأول
المجاز

أولا – المجاز مرسل :

المجاز المرسل هو: ما كانت العلاقة فيه بين ما استعمل فيه اللفظ وبين المعنى المستعمل فيه غير المشابهة (٦٤). وله عدة علاقات نذكر ما ورد منها عند الأزهري وهي :

١ – الكُلِّية :

وهي أن يُذكَر الكل ويراد به الجزء ، وقد سعى الأزهري إلى الكشف عن خصائص هذا الأسلوب وتراكيبه في النص القرآني ليصل إلى موطن الفنون البلاغية فيه ، من خلال الوقوف على هذه القراءات إذ برزت عنده كثير من خصائص التعبير القرآني ، من ذلك في قوله تعالى : ﴿لا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ {البقرة :١٩١} قال الأزهري : ((من قرأ : (لاتقتلوهم) فالمعنى : لاتبدأوهم بقتل حتى يبدأوكم به ، وجاز ولا تقتلوهم وإنْ وقع القتل ببعض دون بعض ؛ لأن العرب تقول: قتلنا القوم، وإنّما قتلوا بعضهم))(٦٥).

وأشار الزجَّاج إلى علاقة الكلية فقال : ((وجائز: ولا تقتلوهم ، وان وقع القتل ببعض دون بعض ؛ لأنَّ اللغة يجوز فيها قتلت القوم ، وإنّما قُتِلَ بعضهم ، إذا كان

في الكلام دليل على إرادة المتكلم)) (٦٦) . فقد أطلق اللفظ الشامل(فاقتلوهم) والمُراد (اقتلوا منهم) أي : بعضاً منهم ، إذ ليس من المعقول أنْ يُقتلَ جميعهم ، وإنّما يقع القتل في بعضهم ، ومثله كثير في لغة العرب .

٢- الجزئية :

وهي أن يذكر الجزء ويراد به الكل ، وقد تناول أبو منصور الأزهري هذه العلاقة فقال : ((الكلمة تنوب عن الكلمات ، تقول العرب : قال فلان في كلمته أي : في قصيدته ، والقرآن كلهُ كلمة الله ، وكَلِم الله ، وكلام الله ، وكلمات الله ، وكله صحيح من كلام العرب)) (٦٧) .

فالكلام سواء كان قصيدةً أو قصةً أو أي شيء آخر يقع عليه لفظ الكلمة ، فهو يتألف من أجزاء ، وأحد هذه الأجزاء هو الكلمة ، وهي وحدة أساسية فيه ، قال الزجَّاج : ((ومعنى كلمة : كلام فيه شرح قصة وإن طال ، وكذلك يقول العرب للقصيدة : كلمة))(٦٨) ، وهي المكونة للنص واللبنة الأساسية له ، فالتعبير بلفظ (الكلمة) عن مكوِّنٍ ما ، سواء كان نثراً أم شعراً أو أي نصٍ آخر هو تعبير بالجزء عن الكل .

٣-العمومية :

هي إطلاق اللفظ العام وإرادة الخاص ، وقد ذكر الأزهري آيات من القرآن الكريم مبيناً المغزى البلاغي فيها بكشف النقاب عنها ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أئذا مَا مِتُّ﴾ {مريم : ٦٦} قال الأزهري : ((الإنسان ههنا عنى به الكافر الذي لا يؤمن بالبعث خاصة)) (٦٩) .

وتناول ابن عاشور الآية الكريمة فقال : ((والمُراد بـ(الإنسان) صنف منه ، وهو المتّصف بمضمون الجملة المؤكدة وتأكيدها ، فالإنسان هو المشرك))(٧٠)

فلفظة (الإنسان) يُراد بها في اللغة الجنس (عموماً) لكنها أُستعملت ههنا مجازاً في معنى الخصوص وهو (الكافر) .

٤- إطلاق لفظ التثنية وإرادة المفرد :

ومن أساليب الخطاب إطلاق لفظ التثنية وإرادة الإفراد وجاء منه قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ {الرحمن : ٢٢} بحث أبو منصور الأزهري الآية الكريمة فقال : ((وإنما قال : (يَخرجُ منهما) واللؤلؤ يخرج من الملح دون العذْب ، لأنه قد ذكرهما جميعاً ، وإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما)) (٧١) .

وهنا يبدو إدراك الأزهري وذوقه في تعليل خروج اللؤلؤ من أحدهما واضحاً ، وهذا التقدير بيّنه علماء البلاغة والتفسير على أنه مجاز مرسل(٧٢) وذلك في إطلاق اللفظ الدال على التثنية(منهما) والتجوز فيه على المفرد وهو البحر المالح ؛ لأنَّ اللؤلؤ والمرجان يخرجان من الماء المالح دون العذب .

٥- إطلاق الجمع وإرادة المفرد :

وأجاز الأزهري مجيء اللفظة بصيغة الجمع للدلالة على الإفراد أو بالعكس ، ويرى فيه قيمة ملحوظة ، فالعدول من لفظ الإفراد (أنجيتكم) الى (أنجيناكم) بصيغة الجماعة ، هو أن الفعل (أنجيناكم) يكون من الفاعل وأعوانه ، أما مجيئها بصيغة الإفراد (أنجيتكم) فالفاعل تفرَّد بالفعل ، قال الأزهري في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ﴾{ طه :٨٠} وَ﴿رَزَقناكمْ﴾ {طه: ٨١} : ((هذه الأفعال كلها للّه، يجوز فيها التوحيد والجمع ، فما كان منه (فَعَلنا) فهو بأعْوَانِهِ ، وما كان منه (فَعَلْتُ) فهو ماتفرد به)) (٧٣) .

فالأزهري يريد أن يقف عند أهمية التعبير المجازي في النص القرآني ؛ لأنَّ فيه نقلاً للكلام من مستوى إلى مستوى آخر ، أو العدول عن المعنى الأصلي إلى

المعنى المجازي ، وهذا هو أساس التعبير ، إذ نلتمس في حديثه تعليلاً للتجوز الحاصل في هذه العلاقة المجازية مُبيِّناً علَّة العدول من صيغة الإفراد الى الجمع .

وهكذا يستمر الأزهري في تتبع هذا المظهر البياني موضحاً استعمال المفرد للتعبير عن الجمع ففي قوله تعالى: ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾{عسق : ٣٧} قال الأزهري : ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ جمع كبير وَمَنْ قَرَأَ (كبير الإثم) فهو واحد يدل على الجمع)) (٧٤)

فقد قرأ حمزة والكسائي : (كبير الإثم) بغير ألف بلفظ الواحد ؛ لأن الواحد يدل على الجمع والباقون (كبائر) وهو جمع كبيرة (٧٥) . فلفظة (كبائر) جمع قُصِد بها اللفظة المفردة (كبير) ، إذ وردت هذه العلاقة ضمن مفهوم المجاز بصيغة الجمع بدلاً عن المفرد ، وقد عنى الأزهري بها فدرس القراءات القرآنية في النص القرآني للكشف عن الجوانب الفنية فيها .

٦- تأنيث المذكر :

ويأتي دور الحديث عن التجوز بتأنيث المذكر ، وقد ورد في القرآن الكريم وكثر فيه ، ففي قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ {البقرة :٤٨} إذ تناول الأزهري هذه الآية فقال : ((من قرأ بالتاء فلتأنيث الشفاعة ، ومن قرأ بالياء فلأن الشفاعة كالمصدر وإن كان لفظها مؤنثاً ، وهو كقول الله جل وعز: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾{هود:٩٤} ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ {هود: ٦٧} ؛ لأنَّ (الصيحة) وانْ كان لفظها مؤنثاً فهي مصدر ، وكل ذلك جائز في كلام العرب)) (٧٦) .

والى هذا المعنى ذهب الزجَّاج فقال : ((لا يُقبَل منها شفاعة ، ولا تُقبَل ؛ لأنَّ معنى تأنيث ما لا يُنتجُ (٧٧) غير حقيقة ، فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث

تقول : قَبُلَ منك الشفاعة وقد قبُلَت منك (الشفاعة) ... فلذلك جاء التذكير والتأنيث على اللفظ))(٧٨) .

وبمثل هذه الوَقَفات أخذ الأزهري في عرض العديد من الآيات القرآنية إذ تناول هذه العلاقة وهو يفسر قوله تعالى : ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ {الأنفال :٥٠} فقال : ((قرأ ابن عامر وحده : (إذ تَتَوفى) بتاءين ، وقرأ الباقون :(يَتَوَفى) بياء وتاء ، قال أبو منصور الأزهري : مَنْ قَرَأَ (تتوفى) فلتأنيث الجماعة ، ومن قرأ (يتوفى) فلتقديم فِعْل الجمع ، وكل ذلك جائز)) (٧٩) .

وهذا المعنى أكَّده السمرقندي بقوله : ((قرأ ابن عامر : (إذ تتوفى الذين) بلفظ التأنيث ، وقرأ الباقون : (يتوفى) بلفظ التذكير، وروي عن ابن مسعود أنَّه كان يُذكِّر الملائكة في جميع القرآن، خلافاً للمشركين، لقولهم الملائكة: بنات الله))(٨٠).

٧- التضمين :

التضمين ، هو أن تؤدي الكلمة مؤدَّى كلمتين معا ً، فتقدر أحدهما أصلا والأخرى حالاً (٨١)، وقد اتّجه الأزهري إلى قراءة النص القرآني قراءةً تهدف إلى بيان جماليات هذا الأسلوب البلاغي بالاستعانة بالقراءات القرآنية ، فقد تناول قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾{انفطرت:٧} فقال : ((من قرأ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف جعل (في) بمعنى (إلَى) كأنه قال : (عَدَلَكَ) إلى أي صُورَةٍ شاءَ أن يُرَكبك فيها فرَكَبك)) (٨٢) .

وناقش السمرقندي في تفسيرِهِ رأي الأزهري مناقشةً تكشف عن حسن تتبُّع وترقُّب لما جاء به القُرَّاء ، وقادته هذه المناقشة إلى الالتفات نحو قضية تتعلق بالاستبدال الحرفي ، وقد التمس لهذا الاستبدال معنىً فيه ، فقال : ((قرأ عاصم والكسائي وحمزة : (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف ، والباقون بالتشديد ، فمن قرأ بالتخفيف جعل (في) في المعنى (إلى) فكأنه قال : فعدلك إلى أي صورة شاء أن يركبك)) (٨٣) .

لقد فتح النص القرآني آفاقاً واسعةً لانفتاحه على قراءات متعددة ، ولاشك أنَّ ما قام به القُرَّاء كان للكشف عن جماليات النص القرآني ، إنَّ هذا الفعل هو الذي حرَّك علماء العربية باتّجاه التوسّع في دراسة التراكيب والأساليب الواردة فيه ، ورصد ما تولده القراءات القرآنية من طاقات في التعبير وقدرات في الصياغة ، تُمكِّن القارئ من إدراك الأسرار القرآنية ، فقد كشفت القراءات الاستبدال الجاري بين الحروف ، ففي قوله تعالى : ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾{الصف :١٤} قال أبو منصور الأزهري : ((المعنى واحد في القراءتيْن ، وقيل في قوله : (مَنْ أَنْصَارِي إِلى اللَّهِ) مَنْ أَنْصَارِي مع اللَّهِ ، وقيل معناه : مَنْ أَنْصارِى إلى نَصر اللَّهِ)) (٨٤) .

فقد علل الأزهري استعارة الحروف فرأى أنَّ التعبير جاء بـ(إلى) بدلاً من (مع)؛ لأنَّ المعنى واحد ((فـ(إلى) أصل دلالتها لبيان انتهاء الغاية الزمانية ... وقد تنسخ هذه الدلالة لإفادة المصاحبة فتأتي بمعنى(مع))) (٨٥) ، وبذلك تمَّ انتقال دلالة (إلى) التي تفيد في أصل وضعها اللغوي انتهاء الغاية الزمانية لتحل محل (مع) التي تفيد المعية ، وقد سبق الزجاجُ الأزهري في هذا التأويل(٨٦).

ثانياً – الاستعارة :

الاستعارة في الاصطلاح البلاغي هي : ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدّعياً دخول المشبّه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخص المشبّه به)) (٨٧) وقد حرص الأزهري في بيان خروج اللفظ من معناه الحقيقي الى معانٍ مجازية ، مشيراً إلى الاستعارة في قوله تعالى : ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ {الإنعام :١٢٢} فقال : ((المعنى في الميت والميِّت واحد، وأراد بالميِّت والميْت : الكافر الضَّال ، وقوله : ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ معناه: فهديناه))(٨٨) وهذا التوجيه أكده القزويني بقوله : ((فإنَّ المُراد بـ(أحييناه) هديناه

أي: أو مَن كان ظالّاً فهديناه ؟ والهداية والحياة لاشك في جواز اجتماعهما في شيء)) (٨٩).

ففي لفظة (ميتاً) استعارة إذ شُبِّه الضلال أو الكفر بالموت ، وأُستُعير (الموت) تعبيراً عن- الكفر أو الضلال ثم أُشتُقَّ من الموت ميتاً أي : ضالاً ، وفي لفظة(أحييناه) استعارة أخرى إذ شُبِهت الهداية بالحياة ثم أُشتُقَّ من الحياة (أحييناه) بمعنى هديناه فالاستعارة تصريحية أصلية .

المطلب الثالث
الكناية

عرَّف عبد القاهر الجرجاني الكناية في الاصطلاح البلاغي فقال : ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللَّفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلا عليه))(٩٠) .

أسهمت طبيعة ثقافة الأزهري في تشكيل رؤية بيانية تعتمد على الكشف عن خصوصية النص القرآني من الناحية البلاغية ، وهي التي وجَّهت طريقة تحليل هذه التراكيب ، من خلال ربط الأساليب البيانية والتراكيب بالقراءات القرآنية وهو يسعى إلى تأكيد الأساليب البلاغية انطلاقاً من تلك القراءات القرآنية ليكشف عن الأسلوب البياني البديعي لصيغ القرآن الكريم ، فممّا أورده الأزهري من أساليب البيان ، الأسلوب الكنائي في قوله تعالى : ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾ {النساء : ٤٣ ، والمائدة:٦} قال الأزهري : ((مَن قرأ (أَوْ لاَمَسْتُمُ) فهو على فاعلتم ؛ لاشتراكهما في الفعل الذي يكون منه الولد ، ومن قرأ(أَوْ لَمَسْتُمُ) خصَّ بالفعل الرجل ؛ لأنَّ الفعل في باب الجماع يُضاف الى الرجل ، وقد يكنى عن الجماع باللمس واللماس ، والعرب تقول : فلانة لا تردُّ يد لامس ، أي لا تَردَّ عن نفسها من أراد غشيانها))(٩١) .

وقد أشار علماء العربية إلى هذه الكناية (٩٢) ، فروى النحّاس عن ابن عباس قوله : ((قال عبد الله بن عباس : اللمس ، والمس ، والغشيان : الجماع ، ولكنه عزَّ وجل كنَّى)) (٩٣) .

وهذا التفسير يوضِّح لنا نظرة الأزهري لمصطلح الكناية فهو يذكر المصطلح بلفظه ويفهم جيداً انتقال دلالة الكلمة إلى معنى جديد آخر باستعمال الأسلوب الكنائي ، فيعبِّر السياق عن هذا الموصوف (الجماع) بألطف وأدق أساليب التعبير، إذ يُعبّر عنه بألفاظ كثيرة ومنها باللمس .

وفي موضع آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ﴾{الرحمن: ٥٦،٧٤} قال الأزهري :((هما لغتان طَمَثَ الرجلُ الجاريةَ البكرَ يطمِثُها ويَطْمُثها إذا دماهَا حين جَامَعَها ، أراد : أنهن أبكار لم يجامعهن أحد قبله)) (٩٤) .

لقد فَهِم الأزهري أنَّ وراء هذه الألفاظ معاني مستترة ، والتعبير عن هذه المعاني بطريق التلميح لا التصريح ((لأنَّ المعنى الفاحش متى عُبِّر عنه بلفظه الموضوع كان الكلام معيباً من جهة فحش المعنى))(٩٥) ، فالكناية بلفظ (الطمث) تتلاءم مع معنى الآية الكريمة في وصف نساء أهل الجنة للمؤمنين المتقين وصفاً دقيقاً يوحي أن ما أعده الله للمتقين في الجنة هو أعظم رفعة وأجمل متعة .

المبحث الثالث

علم البديع في كتاب معاني القراءات

يكتمل مثلث علوم البلاغة في علم البديع ، إذ أنَّه منوط بإظهار ما في كلام العرب من جمال وحسن فقالوا هو : ((علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية الكلام لمقتضى الحال ووضوح الدلالة عليه)) (٩٦) ، ومما ورد منه في كتاب معاني القراءات :

١ – الالتفات :

الالتفات في الاصطلاح البلاغي هو : نقل الكلام من أسلوب إلى الآخر ، اعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير الأول(٩٧) . وقد تناول أبو منصور الأزهري قوله تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾{الإسراء : ٤٢} فقال : ((مَنْ قَرَأَ بالتاء في(تقولون) فهو مخاطبة ، ومن قرأهما بالياء فهي للغيبة ، وكل ذلك جائز ، والعرب تخاطب ثم تُخبِر ، وتُخبِر ثم تخاطب))(٩٨) .

لقد لحظ الأزهري أنَّ في القراءات القرآنية أساليب يعدل فيها الخطاب من صيغة إلى أخرى فينتقل من المخاطب إلى الغائب أو بالعكس ، وهذا ما يُطلق عليه عند علماء البلاغة بـ(الالتفات) ثم استدلّ فيما ذهب إليه بقراءة القرَّاء حين عَدَلَ في أسلوب الخطاب من : (تقولون) التي هي للمخاطبة إلى الغيبة في : (يقولون) .

٢ – سوق المعلوم مساق غير المعلوم (تجاهل العارف) .

تجاهل العارف ، هو سؤال المتكلم عمّا يعلمه حقيقةً منه به ، ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة التدله في الحب ، أو لقصد التعجب أو التقرير أو التوبيخ ،(٩٩) وذكره السكاكي قائلا : ((ومنه سوق المعلوم مساق غيره ، ولا أحب تسميته بالتجاهل))(١٠٠) . وقد تناول أبو منصور الأزهري قوله تعالى :

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ {المائدة :١١٢} ناقلا كلام الفرّاء بقوله : ((قال الفرّاء : من قرأها : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هذا كقولك : هل يستطيع فلان القيام معنا ؟ وأنت تعلم انه يستطيع ذلك)) (١٠١) .

وتوجيه الآية إلى هذا المعنى يؤيده الزركشي بقوله : ((نفي الاستطاعة قد يراد به نفي الامتناع أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه نحو : هل تستطيع أن تكلمني ؟ بمعنى : هل تفعل ذلك وأنت تعلم أنه قادر على الفعل ، وقد حمل قوله تعالى حكاية عن الحواريين: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} على المعنى الأوّل أي : هل يجيبنا إليه ؟ أو هل يفعل ربك ؟ وقد علموا أنَّ الله قادر على الإنزال ، وأنَّ عيسى قادر على السؤال وإنَّما استفهموا هل هنا صارف أو مانع)) (١٠٢) .

٣- الفاصلة :

الفاصلة في الاصطلاح البلاغي هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينه السجع(١٠٣) . وقد وجدت أبا منصور الأزهري يشير إلى مصطلح الفاصلة في قوله تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾{الأحزاب :١٠} وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾{الأحزاب: ٦٧ ، ٦٦} فقال : ((من قرأهن بألف في الوصل والوقف فلإتباع المصحف ؛ لأنَّهما مع رؤوس آيٍ كثيرة بالألف ، ومَن حذف الألف فيهن فلأنَّ الألف لا أصل لها ... ؛ ولأنها في موضع فاصلة كالقافية، وحذاق النحويين اختاروا أن يقرءوا : (الظنونا) و(السبِيلاَ) و(الرسُولاَ) ويقفوا ، فإذا وصلوا وأدرجوا حذفوا الألفات ، وعلى هذا كلام العرب ، والاختيار عندي الوقوف على هذه الألفات ؛ ليكون القارئ متّبعاً للمصحف محققاً لما كُتِب فيه ، مع موافقة كلام العرب والقرآن عربي نزل بلغتهم)) (١٠٤) .

فالأزهري بيَّن علّة زيادة الألف في(الظنونا) و(الرَّسُولا) و(السَّبِيلا) وقارن بين الفاصلة التي تختص بالنص القرآني وبين ترنيم القوافي عند الوقف عليها وإثباتها في الموضعين ، سالكاً سبيل النحاة في اختيارهم بين الوقف عليها والوصل ؛ ليتَّبع القارئ المصحف ويوافق العرب في كلامهم .

وفي موضع آخر أفاض الأزهري حديثه على مشاكلة رؤوس الآيات ، في قوله تعالى : (عِظَامًا نَخِرَةً﴾{النازعات :١١} فقال : ((وقد يجوز أنْ تكون (نَاخِرَةً) و(نَخِرَةً) بمعنى واحدٍ ، كما يقال : بَلِيَت العِظامُ فهي بالية ، وأختار(نَاخِرَة) لأنها تضَاهي(حَافِرَةِ)(سَاهِرَةِ) في رؤوس الآي))[١٠٥] .

لقد فهم الأزهري الفاصلة في هذه الآية الكريمة كما فهمها من قبل علماء العربية الأوائل كأبي عبيدة والفرَّاء والاخفش [١٠٦] وأدركها الدارسون المحدثون أيضا [١٠٧] على أنَّها موافقة الآيات ، وهذا يدلّ على أنَّه لم يخرج عن فهم وإدراك العلماء الأوائل في تقدير الألف في هذه الآية فهو يفاضل بين قراءة وأخرى ، لتحقيق النسق الصوتي ، ويدرك تماماً أن معنى اللفظتين واحد ، فيستحسن التي تلاؤم انسجام النظم الكريم في سياق الآية الكريمة .

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ علينا بإكمال مسيرة البحث حتى خاتمته ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد -ﷺ- وآله وصحبه وسلم .

وبعد :

فإن أساليب العبارة القرآنية ومعانيها مَعينٌ ثَري غَدِق يفتح لذوي الذوق والحس اللغوي آفاقاً في فهم الأساليب والتراكيب ، وقد خلُصت مسيرة البحث إلى جملة نتائج منها :

أنَّ الأزهري عنى في القراءات القرآنية ، فكشف عن أثرها في توجيه النصوص القرآنية توجيهاً بلاغياً ، فأشار إلى مسائل من علم المعاني ، منها : خروج (الخبر والإنشاء) إلى أغراض بلاغية ، وبحث في فوائد الأطناب ، والفصل والوصل ، والإيجاز ، وفي مسائل علم البيان ومنها : المجاز المرسل ، والاستعارة ، والكناية ، وأشار إلى مسائل من علم البديع كالالتفات ، وسوق المعلوم مساق غير المعلوم ، والفاصلة ، دون الإشارة إلى تسمياتها التي وردت عند البلاغيين فيما بعد.

فإشارات الأزهري البلاغية لا تخلو من السبق إذ إنَّه أفاد من سابقيه من العلماء الأوائل في الإشارة إلى المسائل البلاغية ، وعلى الرغم من ذلك يبقى تأثيره علامة بارزة تؤكّد مكانته العلمية ومساهمته في رفد الأساليب البلاغية ، ويُعد كتابه (معاني القراءات) كتاباً متخصصاً بالقراءات القرآنية لكنه حمل في طياته إرثاً بلاغياً ، وعلى الرغم من نزر مادته البلاغية إلا أنَّها تبدو كبيرة في معناها ، إذ تُعد من الأصول الكبرى والينابيع الأولى للفن البلاغي .

الباحث

الهوامش

(١) ينظر وفيات الأعيان: ٤٥٨/٣ .

(٢) ينظر : إنباه الرواة : ١٧٣/٤.

(٣) ينظر : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ٦٠ .

(٤) وهم القراء (السبعة) الذين اعتمد عليهم ابن مجاهد : نافع المدني (ت١٦٩هـ) ، وابن كثير المكي (ت١٢٠هـ) ، وأبو عمرو البصري (ت١٥٤هـ) ، وعبدالله ابن عامر(ت ١١٨هـ) ، وعاصم بن ابي النجود (ت١٢٧هـ) ، وحمزة بن حبيب الكوفي (ت١٥٦هـ) ، وعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) ، وزاد عليهم يعقوب الحضرمي (ت٢٠٥هـ) وهو أحد القراء الثلاثة تمام (العشرة) .

(٥) التلخيص في علوم البلاغة : ٣٧ ، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢/١ .

(٦) ينظر المصدرين السابقين : ٣٨ ، ١٣/١ .

(٧) كتاب معاني القراءات : ٢٤٠.

(٨) تفسير السمعاني : ٣٤٩/١ .

(٩) ينظر : أضواء البيان : ٤٠٤/٢ .

(١٠) هو ، عبد الله بن عامر ابن يزيد بن تميم الإمام الكبير مقرئ الشام ، كان مولده سنة إحدى وعشرين ، عربي ثابت النسب من حمير ، مات يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومئة ، وله سبع وتسعون سنة . ينظر سير أعلام النبلاء :٤٢/٦-٤٣ .

(١١) كتاب معاني القراءات : ٢٨٥ .

(١٢) المصدر نفسه : ٢٨٥ .

(١٣) نفسه : ٧٧ .

(١٤) معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج : ٢٦٨/١ ، وينظر: معاني القرآن ، للفرّاء :١٤٩/١ .

(١٥) كتاب معاني القراءات : ١٨٧ .

(١٦) التفسير البلاغي للاستفهام : ٤٠٠/١ ، وينظر : ملاك التأويل : ٥٧٠/١ .

(١٧) ينظر كتاب الطراز : ٦١/١ ، والتلخيص في علوم البلاغة : ٣٨ ، وشروح التلخيص : ٢٣٤/٢ .

(١٨) ينظر الأمالي الشجرية : ٦٨/١ ، ومفتاح العلوم : ٤٢٨ ، وكتاب المصباح: ٤٥ .

(١٩) كتاب معاني القراءات :٤٤٤ .

(٢٠) ينظر : جمالية الخبر والإنشاء : ١١٢ .

(٢١) كتاب معاني القراءات : ٣٧٢ .

(٢٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٣٣/٢٠ ، وينظر : ملاك التأويل: ٧٤٠/٢ .

(٢٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١١٥/١٠ ، وتفسير البيضاوي :٣٥٤/٢ ، ومعترك الأقران : ٥٦/٣ .

(٢٤) ينظر: الأمالي الشجرية : ٢٧١/١ ، ومفتاح العلوم : ٤٢٩ ، وكتاب المصباح : ٤٥ ، والتلخيص في علوم البلاغة : ١٧٠.

(٢٥) كتاب معاني القراءات : ٦٠ -٦١ .

(٢٦) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٦٩٢/١ ، والإعجاز البلاغي في القرآن الكريم :٣٢ .

(٢٧) ينظر: مفتاح العلوم : ٤١٨ ، والتلخيص في علوم البلاغة : ١٥٣ وما بعدها .

(٢٨) كتاب معاني القراءات : ١٠٤ .

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن : ١٠٠/٤ .

(٣٠) كتاب معاني القراءات : ٤٣٨ .

(٣١) ينظر: الكشاف :٢٣٧/٤ .

(٣٢) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : ٤٣/٤ .

(٣٣) هو ، عبد الله بن كثير ابن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان ، بن هرمز الامام العلم مقرئ مكة ، وأحد القراء السبعة ، فارسي الأصل ، عاش خمساً وسبعين سنة ، ومات سنة عشرين ومئة للهجرة . ينظر سير أعلام النبلاء :٦٣/٦ .

(٣٤) كتاب معاني القراءات : ٤٤٨ .

(٣٥) ينظر : الصاحبي : ٤٥/١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٥٦/١٥ .

(٣٦) الكلاءة : أي الحفظ والحراسة ، ينظر لسان العرب :١٣٢/١٢ .

(٣٧) كتاب معاني القراءات : ٣٠٧ .

(٣٨) التفسير البلاغي للاستفهام: ٣٦٥/٢ .

(٣٩) ينظر : أضواء البيان : ٤٢/٤ .

(٤٠) ينظر : تفسير أبي السعود : ٣٣٨/٤ .

(٤١) ينظر : تفسير التحرير والتنوير: ٧٣/١٧ .

(٤٢) ينظر النكت في إعجاز القرآن : ٧٤ .

(٤٣) ينظر المصدر نفسه : ٧٤ .

(٤٤) كتاب معاني القراءات : ٢٧٨ .

(٤٥) معاني القرآن ، للأخفش : ٣٩٩/٢ ، وينظر : الخصائص: ٢٧١/١ .

(٤٦) ينظر : التعبير القرآني :٧٢ .

(٤٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ٥٤/١١ .

(٤٨) كتاب معاني القراءات : ٢٠٦ .

(٤٩) معاني القرآن ، للاخفش : ٣٠/٢ ، وينظر معاني القرآن ، للفرّاء : ١٠٢/٢.

(٥٠) ينظر المثل السائر: ٣٩٣/٢ ، والجامع الكبير : ١٤ .

(٥١) ينظر تأويل مشكل القرآن : ٢٣٥ ، والفوائد المشوق :١١١.

(٥٢) كتاب معاني القراءات : ١٥٤ .

(٥٣) معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس :٢٠٦/١ .

(٥٤) ينظر التلخيص في علوم البلاغة : ٢٣١ ، والإيضاح في علوم البلاغة : ٢٠٦/١

(٥٥) كتاب معاني القراءات : ٩٧ .

(٥٦) المحرر الوجيز :٣٩١/١ .

(٥٧) ينظر التلخيص في علوم البلاغة : ١٧٥ ، وشروح التلخيص : ٣/٣ .

(٥٨) ينظر دلالات التركيب : ٣١٢ .

(٥٩) ينظر الفصل والوصل : ١١٨.

(٦٠) كتاب معاني القراءات : ٣٥٩ .

(٦١) تفسير التحرير والتنوير : ٢٨٥/١٩ .

(٦٢) كتاب معاني القراءات : ٣٤٣ .

(٦٣) الكامل في اللغة والأدب : ٣٤/٣.

(٦٤) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٧٠/٢ ، والمطوّل : ٣٥٤ .

(٦٥) كتاب معاني القراءات : ٧٣ .

(٦٦) معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج : ٢٢٨/١ .

(٦٧) كتاب معاني القراءات : ١٦٦ .

(٦٨) معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج :٣٥٧/١ – ٣٥٨ ، وينظر: معاني القرآن ، للنحّاس :١٣٥/١-١٣٦ .
(٦٩) كتاب معاني القراءات : ٢٨٥ .
(٧٠) تفسير التحرير والتنوير : ٤٢٧/١٣ .
(٧١) كتاب معاني القراءات : ٤٧٣ .
(٧٢) ينظر : مجاز القرآن : ١٥/١ ، والصاحبي : ٣٦١ ، والكشاف : ٤٣٥/٤ .
(٧٣) كتاب معاني القراءات : ٢٩٩ .
(٧٤) المصدر نفسه : ٤٣٥ .
(٧٥) ينظر تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : ٢٣٣/٣ .
(٧٦) كتاب معاني القراءات : ٤٩ .
(٧٧) ما لا يلد .
(٧٨) معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج : ١١٨/١ .
(٧٩) كتاب معاني القراءات : ٢٠٠ .
(٨٠) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : ٢٦/٢ .
(٨١) ينظر فتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٣٦/٣، ٣٨٦ .
(٨٢) كتاب معاني القراءات : ٥٣٢ .
(٨٣) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : ٣٧٩/٤ ، وينظر : تفسير البغوي : ٣٥٦/٨ .
(٨٤) كتاب معاني القراءات : ٤٨٩ .
(٨٥) نسخ الوظائف النحوية : ٤٠١ .
(٨٦) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج : ٣٥٠/١-٣٥١ .
(٨٧) مفتاح العلوم :٤٧٧ .
(٨٨) كتاب معاني القراءات : ١٦٨ .
(٨٩) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٨٩/٢ ، وينظر : الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم : ٩٣ .

(٩٠) دلائل الإعجاز: ٥١ ، وينظر نهاية الإيجاز : ١٣٥ .
(٩١) كتاب معاني القراءات : ١٢٨ .
(٩٢) ينظر: مجاز القرآن:١/٤٠، والخصائص: ١/٤٩٣، وكتاب الصناعتين: ٤٠٧ .
(٩٣) معاني القرآن ، لأبي جعفر النحّاس : ١/٢٧٥ ، و ١/٢١٤-٢١٥ .
(٩٤) كتاب معاني القراءات : ٤٧٥ .
(٩٥) البيان في ضوء أساليب القرآن : ٢٥٧ .
(٩٦) التلخيص في علوم البلاغة : ٣٧ .
(٩٧) ينظر معترك الأقران : ١/٢٨٦ .
(٩٨) كتاب معاني القراءات : ٢٥٨ .
(٩٩) ينظر تحرير التحبير : ١٣٥.
(١٠٠) مفتاح العلوم : ٥٣٧ .
(١٠١) كتاب معاني القراءات : ١٤٧.
(١٠٢) البرهان في علوم القرآن :٣/٢٥٠ ، وينظر : معاني القرآن ، للنحّاس : ١/١٩٥ .
(١٠٣) ينظر البرهان في علوم القرآن : ١/٥٩ .
(١٠٤) كتاب معاني القراءات : ٣٨٣ .
(١٠٥) المصدر نفسه : ٥٢٦ .
(١٠٦) ينظر: مجاز القرآن : ٢/٢٨٤ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء : ٣/٢٣١ ، ومعاني القرآن ، للأخفش : ١/٧٢ .
(١٠٧) ينظر الفاصلة في القرآن : ١٢٨، وأثر النحاة في البحث البلاغي : ١٦٥.

مصادر البحث

١- أثر النحاة في البحث البلاغي ، للدكتور عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، ١٩٧٥م .

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٣- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، لمحمد حسين سلامة ، دار الآفاق العربية، ط/١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٤-الأمالي الشجرية ، ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٩هـ .

٥- إنباه الرواة على أنباء النحاة ، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م .

٦- الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق : لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مطبعة السنَّة المحمدية ، القاهرة، (د.ت) .

٧- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين أبي عبدالله محمد بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، قدَّم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٨- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ، دار النشر ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ .

٩-البيان في ضوء أساليب القرآن ، للدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، هوريس للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
١٠- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، شرح وتحقيق : السيد أحمد الصقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه
١١- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان أعجاز القرآن ، لابن أبي الاصبع العدواني المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تقديم وتحقيق : حفني شرف ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م
١٢-التعبير القرآني ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الكتب للطباعة والنشر، بيروت ، ط/٣ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
١٣- تفسير أبي السعود أو (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ) ، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ، ط/١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م .
١٤- تفسير البغوي ، للحسين بن مسعود بن محمد ، أبو محمد البغوي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ، بيروت .
١٥- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .
١٦- تفسير البيضاوي ، المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، لناصر الدين عبد الكريم عمر الملقب بالبيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
١٧- تفسير التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، (ت١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان .

١٨- تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥ هـ) ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل احمد عبد الموجود ، والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

١٩- تفسير السمعاني ، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت٤٨٩هـ) دار الوطن ، الرياض – السعودية ، ط/١ ، ١٤١٨ هـ –١٩٩٧م.

٢٠- التلخيص في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .

٢١- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تقديم : هاني الحاج ، حققه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي ، وخيري سعيد ، المكتبة التوقيفية ، (د . ط ، د. ت) .

٢٢- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور ، لابن الاثير (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق: وتعليق ، د . مصطفى جواد ، ود. جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .

٢٣- جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة جمالية بلاغية نقدية ، للدكتور حسين جمعة ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ م .

٢٤- الخصائص ، لأبي عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/٣ ، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م .

٢٥- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط/١ ، القاهرة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٢٦- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) حققه وقدمه : د. محمد رضوان الداية ، ود. فايز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، سورية ، ط/١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٧- دلالات التركيب دراسة بلاغية ، لمحمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٣ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م .

٢٨- سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمود بن احمد بن عثمان الذهبي (ت٦٧٣-٧٤٨هـ) ، خرَّج أحاديثه وقدم له : محمد ابن الشيرازي ، دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٧هـ ١٩٩م .

٢٩- شروح التلخيص : ، مطبعة البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، مصر ، ١٩٣٧م.

٣٠- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٧٧م .

٣١ - الفاصلة في القرآن ، لمحمد الحسناوي ، عمر فاروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجمهورية العربية السورية ، مطبعة الأصيل ، حلب ، (د . ت)

٣٢- فتح البيان في مقاصد القرآن ، لصديق حسن خان القنوجي ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

٣٣- الفصل والوصل في القرآن الكريم ، للدكتور شكر محمود عبدالله ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، عمان ، ط/١ ، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

٣٤- الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ، لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د ، ط ، د ، ت) .

٣٥- الكامل في اللغة والأدب ، للمبرِّد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
٣٦- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط/١، ٢٠٠٨م .
٣٧- كتاب المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، للإمام بدر الدين بن مالك الطائي (ت٦٨٦هـ) ، المطبعة الخيرية ، ط١ ، (د ، ت) .
٣٨- كتاب معاني القراءات ،لأبي منصور محمد بن احمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/١، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م.
٣٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط/١ ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .
٤٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، حققه وقدمه : د. احمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، منشورات دار الرفاعي بالرياض ، ط/٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
٤١- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) ، علَّق عليه : الدكتور. محمد فؤاد سركين ، نشر مطبعة سامي الخانجي الكتبي ، مطبعة السعادة بمصر ، ط/١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م .
٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

٤٣- معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تحقيق : الدكتور يحيى مراد، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٤٤- معاني القرآن للأخفش (ت ٢١٥هـ) ، تحقيق : الدكتور فائز فارس ، ط/٢ ، دار الرشيد للنشر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٤٥- معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، أبي اسحق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ) ، شرح وتحقيق : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٤٦- معاني القرآن ، للفرّاء (ت٢٠٧هـ) تحقيق الدكتور: محمد علي النجار ، والدكتور أحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط/٢ ، ١٩٨٠م .
٤٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه : احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٨- مفتاح العلوم ، للسكاكي (ت٦٢٦هـ) تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/٢ ،٢٠١١م .
٤٩- نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية ، للدكتورة خديجة محمد الصافي ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/١ ، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م .
٥٠- النكت في إعجاز القرآن ، الرماني (ت ٣٨٦هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق : محمد احمد خلف ، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط/٣ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٩٨م .
٥١- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم : إبراهيم السامرائي ، ومحمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٥ .
٥٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .